

خطبة جمعة بعنوان
تحذير الخلان من أسباب الذل والهوان

للشيخ الفاضل أبي عبد الله
عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري
حفظه الله

١٤ محرم ١٤٤٤

مسجد الشميري تعز

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا

﴾ [فاطر: ١٠] أي فليطلبها من الله جل وعلا، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَيَّتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ

الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)﴾ [النساء: ١٣٩].

وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)﴾

[آل عمران: ٢٦].

قال بعض المفسرين: تعز من تشاء بطاعتك، وتذل من تشاء بمعصيتك. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)﴾ [المنافقون: ٨].

فالعزة لله عز وجل، والعزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والعزة لمن تمسك بهذا الدين العظيم، دين الإسلام، هذا الإيمان الذي من تمسك به وصار من أهله فله العزة، أما الكفر فإنه دين الذل ليس دين العزة، دين العزة هو دين الإسلام، الذي ارتضاه الله عز وجل لنا، الذي أكمله الله عز وجل لنا، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

أما الكفر فإنه دين الذل والهوان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرِبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)﴾ [آل عمران: ١١٢].

إنه دين الهوان، إن دين الكفر من اليهودية والنصرانية والوثنية كله دين الذل والهوان، قال سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)﴾ [التوبة: ٢٩].

فالذي لا يدين لله بدين الحق هذا الدين العظيم دين الإسلام فهو صاغر، فهو ذليل، فهو على هوان، بخلاف من دان بهذا الدين فإنه عزيز، ولهذا في مسند الإمام أحمد (١٠٣/٤) من حديث تميم الداري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

الإسلام دين العزة، أما الكفر فهو دين الذل والهوان، ولهذا يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، أعز الله ذلك الرعيل الأول؛ أولئك الصحابة، والتابعون، وأتباعهم، أعزهم الله عز وجل بهذا الدين، فكسروا كسرى، وقصروا قيصر، وفتح الله بهم البلدان، وأعز بهم الإسلام وأهله، لما كانوا متمسكين بهذا الدين العظيم، أما من تخلى عن دينه، أما من ترك دينه بالكلية كمن كفر أو أشرك فهو ذليل الذل المطلق، وأما من ترك بعض دينه فتهاون ببعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات فإن هذا يصيبه من الذل بحسب إعراضه عن الدين، قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)﴾ [المجادلة: ٢٠، ٢١].

فالذي يحاد الله ورسوله، الذي يعصي الله ورسوله، سواء بقطع الصلاة، فالذي يقطع الصلاة ذليل، والذي يرتكب الحرام ذليل، والذي يرتكب الزنا ذليل، والذي يرتكب السرقة ذليل،

تحذير الخلان من أسباب الذل والهوان

والذي يشرب الخمر ويتعاطى المسكرات والمخدرات ذليل، والذي يعمل أي معصية يصيبه من الذل بقدر ما يعصي الله سبحانه وتعالى، ومن أطاع الله عز وجل فإنه يناله من العز بقدر طاعته لله جل وعلا، ولهذا كان بعض السلف يقول: اللَّهُمَّ أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك. فإن الطاعة عز، وإن المعصية ذل، قال الله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: ٢٧].

ذلة في الدنيا، وذلة في الآخرة، ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذِّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

فهم خاشعون من الذل، قد أصابتهم بسبب معصيتهم التي عصوا الله عز وجل بها، فإيانا إيانا والمعاصي، وأعظم سيئة تذلل الأمم هي الشرك بالله جل وعلا، والإعراض عن توحيده، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (١٥٢) [الأعراف: ١٥٢].

إن الذين اتخذوا العجل : عبدوه من دون الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

ذلة في الحياة الدنيا بسبب شركهم بالله، بسبب دعائهم غير الله، بسبب النذر للأموات، ودعاء الأموات، والحلف بغير الله، وهكذا أيضا التعلق بغير الله عز وجل، التعلق بالسحرة، والمشعوذين، والكهان، والعرافين، كل هذه تسبب الذلة على أهلها وعلى أصحابها والعياذ

بالله، نعم عباد الله، الإعراض عن دين الله عز وجل والانشغال بهذه الدنيا هذا يسبب الذل، روى الإمام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ.»**

فهذه الأمور تسبب الذلة على هذه الأمة، إذا تبايعتم بالعين؛ العينة مثلاً أن تأتي تاجرًا من التجار، فتقول له أريد منك مائة ألف، فيقول لك ما سأعطيك مائة ألف ولكن سأبيع لك بضاعة بمائة ألف إلى شهر، ثم أشتري منك هذه البضاعة بتسعين ألفاً نقداً، فهذا هو بيع العينة، إذا تبايعتم بالعين وأخذتم أذنان البقر، ورضيتم بالزرع، كناية عن الانشغال بالدنيا، وتركتم الجهاد في سبيل الله، تركتم جهاد أعداءكم من اليهود والنصارى والمشركين سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم، فإذا أردنا أن ينزع الله منا الذلة معاشر المسلمين فعلينا أن نرجع إلى ديننا، فبقدر رجوعنا إلى ديننا تذهب عنا الذلة، ويعطينا الله العزة، وثبت في مسند الإمام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ، وَ مِنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ.»**

وشاهدنا وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، فبقدر مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تصيبك الذلة والصغار، من خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

تحذير الخلان من أسباب الذل والهوان

أصابه الذل، وأصابه الصغار، وأصابه بقدر مخالفته لذلك، بقدر مخالفته، فإن استكثر من المخالفة كثرت الذلة والصغار، وإن قلل قلت، فبقدرها يحصل هذا الأمر الخطير الذي كلنا يأباه ولا يريده ولا يحبه، إنها الذلة والصغار، إنها المعاصي هي التي تسبب للإنسان هذه الأمور التي لا يحبها ولا يرضاها، إذا فلنبتعد عن المعاصي، إذا فلنبتعد عن الذنوب التي تسبب لنا الذل والهوان، فإن الإنسان لا يرضى لنفسه بأن يكون ذليلاً، ولا يرضى لنفسه بأن يكون صاعراً، ومن رضى لنفسه بذلك رضى لها بالشر والدبور، ورضي لها بما سيندم على ذلك أشد الندم، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفانا مسلمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد: روى الإمام أحمد في الزهد، من حديث جبير بن نفير قال: لما فُتحت مدائن قبرص وقَعَ الناس يقتسمون السبي، وفرّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، ورأيتُ أبا الدرداء تنحّى وحده جالساً، واحتبى بحمائل سيفه فجعل يبكي، فأتاه جبير بن نفير فقال: يا أبا الدرداء! أتبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، وأذلّ فيه الكفر وأهله؟! فضرب على منكبيه، ثم قال: ويحك يا جبير! - وفي رواية: ثكلتك أمك يا جبير بن نفير! - ما أهون الخلق

على الله إذا هم تركوا أمره، بينما هي أمة قاهرة قادرة ظاهرة على الناس، لهم المُلْك، حتى تركوا أمر الله - عز وجل؛ فصاروا إلى ما ترى، وإنه إذا سلط السباء على قوم؛ فقد خرّجوا من عين الله، ليس لله بهم حاجة.

انظر إلى أبي الدرداء ينظر إلى هذه النظرة العظيمة، هؤلاء قوم كانوا كفرة أذلهم الله بكفرهم، أذلهم الله بمعصيتهم، قال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هم أمة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

ولهذا يقول الحسن البصري رحمه الله: إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]

من أهانه الله بمعصيته فما أحد يستطيع أن يكرمه، فلهذا الحذر الحذر من الذنوب فهي التي تسبب لنا الذل والهوان، قال عبدالله بن المبارك رحمه الله: رأيت الذنوب تميت القلوب، وقد يورث الذل إدمانها، وترك الذنوب حياة القلوب، وخير لنفسك عصيانها.

نسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

فرغها أبو عبد الله زياد المليكي.